الطفل فى المنزل

قال تعالى (واللهُ أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ لعلكم تشكرون)

خلق الله الإنسان ، وخلق فيه العقل والهوى ، وجعله فى أول أدوار حياته كالشمع المرن القابل للتشكل بالاشكال التى تحوله اليها يد الإنسان ، بل الطفل أكثر من ذلك ، لأن عقله تنطبع فيه صور كل الاشياء ، ولكن الشمع لا يقبل إلا صورة واحدة فى وقت واحد — وقد جعله جلت قدرته أكثر تقليداً ، وأسرع محاكاة من الكبير ، فالقدوة العملية تؤثر فيه أكثر من الدروس العلمية ، وفطرته هى الأساس فى تكوينه ، وعقله يعطيه المبادىء ، وتربيته تهيئه لمزاولة العمل ، فمثله مثل البر فى زراعته ، يحتاج الى الأرض الجيدة ، ثم اختيار الحب ، ثم الزارع الماهر ، والتربية هى التى تكون الطباع والأخلاق ، وتنمى العقل أو الهوى ، ولذلك قيل « العادة طبيعة ثانية » لأنها ثمرة التربية ، وأول مرب للطفل أمه فى منزله .

وهو أمانة من الأمة عند الوالدين ، فعليهما أن يعنيا بطهارة نفسه بالعلم الذى يوصله الى الحكمة ، وبالعفة التى توصله الى الجود ، وبالصبر الذى يوصله الى الشجاعة والحلم ، ليشارع الملك بقوة نطقه وفهمه وعلمه ، ويناى عن شبهه بالبهيمة بقوة غذائه ، وكثرة شهواته ، فان من كملت أخلاقه ، ونما عقله ، وربا جسمه ، يسعد ويسعد به أمته ، ومن انحطت صفاته ، وتضاءل إدراكه ، ونمت شهواته ، كان كالانعام بل أضل .

ولم أرَ أمثال الرجال تفاوتاً ... لدى المجد حتى عُدَّ ألف بواحد

فخير الآباء من إذا صادف فى نفوس الأحداث أرضاً غير جيدة ألقى فيها تربة كريمة ذات إخصاب من أصل معدنها ، فينمو زرعها وتثمر ثمراً شهياً ، وإنى أرى فى التربية المنزلية فى بلادنا عيوبا أذكر منها ما يأتى :

١ — بعض الوالدات تحب ولدها حباً ممقوتاً ، فتخاف عليه إذا مشى ، ويضطرب فؤادها إذا عدا ، وتخاف عليه من تعب العمل وتصب الدرس ، بل ومن تقلبات الجو وهبوب النسيم ، فهذه الوالدة بعملها هذا ، تفسد حال فلذة كبدها ، وتسىء تربيته ، فينشأ جاهلا خاملا مستبداً بيت ويحكم قبل أن يعرف كيف يفكر ويأمر ، وينهى قبل أن يدرك الطاعة

ويوثق الخدم والأتباع ، وتكون حالة مربية معه حالة خوف ، فلا يستطيع أن يخالف رغبته ولا أن يقوم اعوجاجه ، مداراة له وملاطفة ، فيحيا وهو من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

٢ — كثير من القائمين بأمر التربية المنزلية لا يعصمون ألسنتهم ، فينطقون أمام ذوارهم بفحش القول ، ويسب البعل زوجه بألفاظ يبذها سمع طاهر النفس ، أو تسب الزوجة خدمها أو أولادها بالألفاظ القبيحة ، فيقلدها ابنها ، فتفسد تربيته ، ويشب نشأ لماظاً ، وبعضهم يفرق بين الأولاد فى المعاملة ، فيحب البعض ويكره البعض الآخر ، وبخاصة إذا كانا من أمين ، فتنمو هذه الكراهة ، حتى إذا شبا تمكنت العداوة بينهما ، وأصبح البيت جحيما تمرح فيه أبالسة الجهل والخراب . وتشقى بهما وبأمثالهما الأمة ، لأنهما من الذين لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم .

٣ — وبعضهم يجترح جرائح أمام الأبناء ، فيقلدونه فيها ، فيشبون شياطين يفسدون ولا يصلحون ، كأن يحتسى أمامهم كؤوس الخمر ، أو يكذب بأن يطلب مثلا أحد مقابلته فيقول لابنه أو لخادمه أمامه قل إنه ليس هنا ، أو يعد ابنه وعداً ثم يخلفه ، وغير ذلك من السنن السيئة التى يقلده الطفل فيها ، فيعيش فى الأمة نجساً ، يخبث عمله بخبث نفسه ، ويقبح قوله لأنه إناء مملوء بالأرجاس ، فينضح بما فيه .

٤ — والبعض الآخر يدع أولاده للخدم ، فيعودونهم فعل القبائح ، ويسمعونهم ما يستهجن من الالفاظ ، فيقلدهم الطفل فى أقوالهم وأفعالهم ، فيشب وقد انسخت نفسه ، فيسوء فعله ، ويقبح قوله ، ويكون أردأ كتاب تقرأ الناس فيه أخلاق أسرته .

٥ — وآخرون يجلبون العثار ، وينبذون الدين والعلم النافع ، فيعودون الاحداث الخلاعة والتبرج ، فيشبون ونفوسهم غير توافة إلا للمراسح ، والملاهى ، والمقاصف ، وغير ذلك من أنواع اللهو والفساد ، فيضيع مالهم ويسوء حالهم ، ويكونون عبئا ثقيلا على كاهل الأمة .

هذه بعض المثالب التى فى منازلنا والتى أرى من خلاجها ما يأتى :

(١) أن توضع خطب منبرية بلغة تلائم العامة ، يكون مغزاها بيان ما ينبغى أن يكون عليه الإنسان فى المنزل وما يجب أن يعوده الاطفال حتى تظهر نفوسهم ، وتنبو غرائزهم فتسعد بهم أمتهم .

(٢) أن يقوم رجال الدين والتربية بانشاء جامعات فى المدن والقرى ، تبين للعامة ما فى تربية الاحداث من العيوب ، وترشدهم الى كيفية اجتثاثها أو غرس الفضائل مكانها ، حتى

تطهر النفوس من النقائص ، كما تطهر الأرض البذر من خبائث النبات ، وأن تضع قصصاً خلقية مشوقة ، ليتعلمها العامة ، فيقصونها على الأبناء بطريقة تدفعهم إلى التخلق بأخلاق صاحب القصة

٣ — أن يعنى فى مدارس البنات بتعليمهن طرفا من فن تدبير الصحة والدين ، وكيفية غرس الأخلاق الفاضلة ، واستئصال الأخلاق الرديئة ، وصنع اللعب التى تلائم الأحداث ، وتنمى فيهم قوتى الفكر والخيال .

٤ — أن يدع أرباب البيوت وربانها مايلهيهم عن مراقبة من تحت رعايتهم ، فلا يقضى الآباء أغلب الوقت فى المقاهى والملاهى ، ولا تقطع الأمهات وقتاً طويلا فى زيارة الصواحبات ، أو فى الشوارع أو فى حوانيت التجار

٥ — أن يكون رب البيت وربته فى المنزل خير مثال يحتذى فى الأخلاق وأداء الفرائض الدينية ، ليقتدى بهما أولادهما فيحفظان ومن تحت رعايتهما من النار

(يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) ويكونان ممن قال فيهم صلى الله عليه وسلم (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وألطفهم بأهله)

م . ف

عب المعلم

تقلدت أمراً فى الأمور جليلا ... وحُمّلت عبئاً فى الحياة ثقيلا
وقمت بأمر النشء فى كل بلدة ... فقومت أخلاقاً وشدت عقولا
لىَ الله ، كم لاقيت فى الدهر غربة ... وأسديت وفدا للأنام جزيلا
فيالبت شعرى ! هل قدرتم مهمتى ... بنى وطنى ، أم تنكرون جميلا ؟
مثلى له فى الغرب أسمى مكانة ... فهلا ترونى للشبل مثيلا ؟
ألا إننى آس ، ولست بناصح ... — إذا لم أكرم — للحياة عليلا
وإنى لباغ ماحييت بمجاهد ... لاعزاز قدرى . أو أموت نبيلا

ابراهيم عبد الله

منفلوط